مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 01 (2023م) • ص ص 143- 156
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

علوم القرآن الكريم في مباحث الشّيخ محمّد الخضر حسين

«مباحث الإعجاز والترجمة أنموذجا»

The sciences of the noble Qur'an in the research of sheikh Muhammed Al-khidr Hussain (Investigations of miracle and translation as a model)

د/ كمال مجيدي *

مخبر الدّراسات الإفريقيّة للعلوم الإنسانيّة والعلوم الإجتماعيّة، جامعة أدرار (الجزائر)

kamelmajidi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/14 | تاريخ القبول: 2023/01/01 | تاريخ النشر: 2023/03/16

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى مقاربة مباحث علوم القرآن الكريم عند الشّيخ محمّد الخضر حسين، اِنطلاقا من تراثه؛ ليكشف جهوده في هذا المجال، ومنهجه في تناول هذه المباحث وأسئلته الّتي شغلته، وكانت مركزيّة في تفكيره، والنّتائج الّتي توصّل إليها وقيمتها العلميّة.

وهذه الأهداف الّتي ننشدها من وراء هذا البحث جعلتنا نضع أيدينا على جهود علم موسوعيّ من أعلام العصر الحديث، له حضور متميّز في العلوم الشّرعيّة واللّغويّة والأدبيّة، مركّزين على مباحثه في علوم القرآن، والّتي تميّزت عن غيره من الباحثين بتنوّع الأسئلة وإغنائها معرفيّا، وكان فيها مستندا على الدّليل العلميّ القوي؛ ليعضّد ذات المباحث ويجعلها أكثر موضوعيّة وتأثيرا في متلقّيها.

الكلمات المفتاحية:

علوم القرآن؛ البلاغة؛ الإعجاز؛ التّرجمة؛ جهود محمّد الخضر حسين.

Abstract :

This research aims to study the sciences of noble-Quran according to sheikh Muhammed Al-khidr Hussain. And studying the sheikh books and research in the sciences of the Qur'an, and determine his efforts in this field.

With this research and the goal we want, we were able to put our hand on the efforts in the Quranic sciences.

Keywords:

Qur'an sciences ; eloquence; miracles; translation; efforts of Muhammed Al-khidr Hussain.

1. مقدمة

القرآن الكريم أعلى نصّ عربيّ فصيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصلنا متواترا، أنزل على الأحرف السّبعة توسعة من اللّغة ورحمة على الأمّة، تعدّدت وجوه إعجازه وبلاغته وكثرت الدّراسات حولها وتنوّعت، تعاوره العلماء من كلّ ناحيّة، وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا، ثمّ هو بعدُ لا يزال عندهم على كلّ ذلك خلقا جديدا، يقول الرّافعي: «ما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه

* المؤلف المراسل.

وإعجاز تركيبه بصورة كلاميّة من نظام هذا الكون الّذي اِكتنفه العلماء من كلّ جهة، وتعاوروه من كلّ ناحيّة، وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا، ثمّ هو بعد لا يزال عندهم على كلّ ذلك خلقا جديدا، ومراما بعيدا »[1]. ولم يكتب للأجيال المتعاقبة منذ نزوله إلى يومنا هذا أن تحيط بأسرار إعجازه وبلاغته، « كلّما حسب جيل أنّه بلغ منه مبلغا اِمتدّ الأفق بعيدا وراء كلّ مطمع، وفوق كلّ طاقة »[2].

القرآن الكريم الّذي نزل بلسان عربيّ مبين، أحرفه وكلماته من جنس ما تعرفه العرب؛ ولكنّ نظمه وتركيبه فاق النّظم الّذي تعارفوا عليه، وبيانه لا يشبه « بيان أئمّة الشّعراء وأصحاب الألسنة البليغة، وأنّه نمط متفرّد، لا يطابق تأليفه وتركيبه أنماط المألوف من بيانهم، وهم مطبقون جميعا، بهذا التّذوّق على أنّه كلام ربّ العالمين، المباين لكلام البشر »[3]. تحدّى الله البشر بأن يأتوا بمثله فعجزوا، وارتدّ طرفهم أمام أسراره وإعجازه؛ ولهذا كثرت حوله الدّراسات، وكان منطلقا في نشأة الكثير من العلوم، كعلوم العربيّة من نحو وصرف وبلاغة، وعلوم القرآن من أسباب نزوله وجمعه وترتيبه، ومكّيّه ومدنيّه، وقراءاته ورسمه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأساليبه وقصصه، وتفسيره وتأويله، وإعجازه وبلاغته، وأكثروا القول في هذه المباحث وغيرها ممّا يتّصل بعلوم القرآن الكريم، ولازالت هذه المباحث، منذ نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا، محلّ نظر ودراسة وتحليل. فإذا كان العلماء قديما وحديثا بحثوا في مسائل علوم القرآن وقضاياه، فما المباحث الّتي شغلت تفكير الشّيخ محمّد الخضر حسين وتناولها في دراساته؟ لِمَ اِهتمّ بذات المباحث دون غيرها؟ وما الجهود الّتي بذلها في هذه المباحث؟ وما قيمتها العلميّة؟ ثمّ ما المنهج الّذي سار عليه في تناولها؛ أي من أين اِنطلق في مباحثه، وكيف تناولها، وما النّتائج الّتي توصّل إليها؟

ولأقارب هذه الأسئلة، في البعد الّذي أنشده، اِرتأيت أن أتناولها في النّقاط الآتيّة: أ- في اِسمه ومولده وأصول عائلته وأهمّ آثاره؛ ب- في كتابه: بلاغة القرآن، ومباحث علوم القرآن الّتي شغلته: 1- بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، 2- ترجمته إلى اللّغات الأجنبيّة.

2. الشّيخ محمّد الخضر حسين[4]: مولده وأصول عائلته، أهمّ مراحل حياته، آثاره:

1.2. في اِسمه ومولده وأصول عائلته: هو الشّيخ محمّد الخضر حسين؛ والأصل محمّد الأخضر بن الحسين، أُطلق عليه صديقه الشّيخ الطّاهر اِبن عاشور اِسمَ محمّد الخضر تيمّنا بسيّدنا الخضر عليه السّلام[5]، ولمّا هاجر إلى المشرق حذفت كلمة (اِبن) «مسايرة للطّريقة الشّرقيّة في التّسميّة، مثل: عبّاس

[1] - مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن، ص: 162.

[2] - عائشة عبد الرّحمان، الإعجاز البياني للقرآن، ص: 28.

[3] - أبو فهر محمود محمّد شاكر: مداخل إعجاز القرآن، ص: 74.

[4] - فصّلت البحث في حياته وآثاره في رسالة ماجستير تحت عنوان: محمّد الخضر حسين وجهوده اللّغويّة –القياس في اللّغة العربيّة أنموذجا- بتاريخ: 27- يناير-2010 . جامعة أدرار. وذكرت هذه الحياة إجمالا في أطروحة دكتوراه تحت عنوان: التّفكير اللّساني عند محمّد الخضر حسين. بتاريخ: 02- ماي-2016. جامعة بسكرة؛ ولهذا اِعتمدت في ترجمته على ما ذكرته في هاتين الرّسالتين.

[5] -كمال العريف: "محمّد الخضر حسين (تونس67 عاما من الاحتلال الفرنساوي)". ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، محمّد الخضر حسين، ج: 14، ص: 202.

محمود العقّاد »[1]؛ ولهذا فالباحثون في المراجع الّتي ترجمت لهذه الشّخصيّة سيعثرون على الإسمين، إمّا محمّد الخضر حسين[2]، أو محمّد الخضر بن الحسين[3]، ولكنّ الشّائع اليوم بين الباحثين هو الإسم الأوّل.

ولد في نفطة، بالقطر التّونسي، يوم 26 رجب 1293هـ الموافق: 21 جويلية 1873م؛ ولكنّ بعض الباحثين المعاصرين ذكروا أماكن مولده غيرها، فهذا عمر رضا كحالة في كتابه (معجم المؤلّفين)، يجعل مولده في قفصة بتونس[4]، ويقتفي أثره الباحث علي بن الحسن بن علي عبد الرحمان الحلبي، في أثناء تحقيقه وتعليقه على كتاب (الدّعوة إلى الإصلاح) للشّيخ محمّد الخضر حسين، فينقل الخطأ من كتاب (معجم المؤلّفين)، ويجعل مولده في المكان نفسه[5]. والباحث رابح خدّوسي في كتابه (موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين)، يقول: إنّ مولده كان في طولقة ببسكرة[6]، وأمّا الباحث محمّد رجب البيّومي في مقال ينشره تحت عنوان: "محمّد الخضر حسين عالم ومجاهد" فيقول: « ولد الأستاذ بقرية من قرى الجزائر على حدود القطر التّونسي »[7].

والده هو الشّيخ الحسين بن علي بن عمر[8]، وجدّه لوالده هو الولي الصّالح الشّيخ علي بن عمر[9]، وجدّه لأمّه الشّيخ مصطفى بن عزّوز[10]. إذًا فعائلة الشّيخ محمّد الخضر حسين ذات أصول جزائريّة.

2.2. في أهمّ مراحل حياته: تلقّى مبادئ علومه، في مسقط رأسه، على يد خاله الشّيخ محمّد المكّي ابن عزّوز، وفي شبابه اِنتقل مع عائلته إلى تونس، واِنتسب إلى جامع الزّيتونة، وتلقّى فيه العلوم على أيدي شيوخ، من أمثال: الأستاذ محمّد النّجّار (ت1909م)، والشّيخ عمر بن الشّيخ (ت1911م)، سالم بوحاجب (ت1924م). وبقي في الجامع إلى أن تحصّل على شهادة التّطويع عام 1898م، درّس في الجامع نفسه بعد حصوله على هذه الشّهادة.

---

[1] -محمّد مواعدة، محمّد الخضر حسين حياته وآثاره، ص: 13.

[2] - خير الدّين الزّركلي، الأعلام ج: 6، ص: 113.

[3] - يوسف إلياس سركيس، ج: 2، ص: 1652.

[4] - عمر رضا كحّالة: معجم المؤلّفين ج: 3، ص: 273.

[5] - محمّد الخضر حسين، الدّعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسّنة وعبر تاريخ الأمّة، ص: 11.

[6] - رابح خدّوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين، ص: 42.

[7] - محمّد رجب البيّومي: "محمّد الخضر حسين عالم ومجاهد". ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، محمّد الخضر حسين: 14ج: ص: 162.

[8] - " عالم زاهد سالك، ولد سنة 1246هـ-1830م في طولقة، وتوفّي سنة 1309هـ-1893م بتونس.

- محمّد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة: ج، 15، ص: 157، 158.

[9] - الولي الصّالح الشّيخ علي بن عمر، ولد في بلدة طولقة سنة 1166هـ على وجه التّقريب، وتوفّي شهيدا يوم الخميس في 3 ربيع الأوّل سنة 1258هـ، ودفن في زاويته.

- علي الرّضا الحسيني، زاوية علي بن عمر (طولقة-الجزائر)، ص: 60، 61.

[10] - مصطفى بن محمّد بن عزّوز العالم الولي العارف بالله الفقيه النّقي الصّوفي (...) دخل هذا الولي القطر لتّونسي، وبثّ الطّريقة الرّحمانيّة (...) وأحدث زاوية نفطة، وصار له أتباع كثيرون.

- الشّيخ محمّد بن محمّد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، ج:1/ ص: 559.

هاجر إلى سوريا عام 1912م؛ ملتحقا بعائلته الّتي سبقته إلى بلاد الشّامّ، درّس في المدارس الرّسميّة والأهليّة، وعيّن عضوا في المجمع العلميّ العربيّ عام 1919م، وبعد سقوط سوريا في يد الإستعمار الفرنسيّ عام 1920م هاجرها إلى مصر، نال شهادة العالميّة عام 1928م، عيّن رئيس تحرير لكثير من المجلّات، كمجلّة الهداية الإسلاميّة، ونور الإسلام، ولواء الإسلام، ومجلّة الشّبّان الإسلاميّة، ومجلّة الأزهر، عيّن عضوا في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة عام 1932م، نال العضويّة في جماعة كبار العلماء عام 1951م، ثمّ عيّن شيخا للأزهر بين سنتي 1952م و1954م.

3.2. وفاته: وافته المنيّة ظهر يوم الأحد 13-رجب سنة 1377هـ الموافق: 2 فيفري سنة 1958م بمصر، ودفن بوصيّة منه بجوار صديقه أحمد تيمور باشا.

4.2. آثاره: كان الشّيخ موسوعيّا؛ مفسّرا، أصوليّا فقيها، محدّثا، صحفيّا، شاعرا أديبا، لغويّا، نشر العديد من المقالات في هذه المعارف، جمعت فيما بعد في كتب تحت عناوين اِختار الكثير منها جامع تراثه اِبن أخيه الأستاذ عليّ الرّضا الحسيني، منها: أسرار التّنزيل، بلاغة القرآن، تعليقات على كتاب الموافقات للشّاطبي، الشّريعة الإسلاميّة صالحة لكلّ زمان ومكان، الرّحلات، دراسات في العربيّة وتاريخها، القياس في اللّغة العربيّة، نقض كتاب في الشّعر الجاهلي لطه حسين، خواطر الحياة (ديوان شعريّ)،ثمّ جمعت آثار الشّيخ جميعها في خمسة عشر مجلدا طبعت عام 2010 صادرة عن دار النّوادر.

3. في كتابه: بلاغة القرآن، ومباحث علوم القرآن التي شغلته

هو مجموعة من المقالات والمحاضرات نشرت في بعض المجلّات، وهي: الهداية الإسلاميّة، نور الإسلام، لواء الإسلام، جمعت في هذا الكتاب، ونشر مستقلّا تحت إشراف اِبن أخيه الشّيخ رضا الحسيني، ثمّ أعيد نشره ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، ويمكن لي تفصيل هذه المباحث على النّحو الآتي:

في بلاغة القرآن	المجلّد / الصّفحة	في ردوده على معاصريه	المجلّد / الصّفحة
بلاغة القرآن	2 / 443	حقيقة ضمير الغائب في القرآن	2 / 517
نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة	2 / 449	القرآن لا يقول إلّا حقّا	2 / 555
رأي في التّفسير	2 / 462	الفنّ القصصي في القرآن	2 / 558
أمثال القرآن الكريم	2 / 468	تحريف آيات الحدود عن مواضعها	2 / 573
المحكم والمتشابه في القرآن الكريم	2 / 483	كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد	2 / 580
اليمين في القرآن والحديث	2 / 492	كتاب يلحد في آيات الله	2 / 606
إعجاز القرآن وبلاغته	2 / 505	قصّة أيوب –عليه السّلام- ونقض آراء حديثة في تفسيرها- الرّدّ الأوّل	2 / 619
ترجمة القرآن	2 / 511	الرّدّ الثّاني الرّدّ الثّالث	2 / 642 2 / 661
نزول القرآن على سبعة أحرف	2 / 710	الرّدّ الرّابع الرّدّ الخامس	2 / 676 2 / 691

تناولُ هذه المباحث بتفصيل منهج يطول بي؛ ولهذا سأركّز على مبحثين فقط، وأرجئ الباقي إلى وقت آخر، وهما:

1.3. بلاغة القرآن وإعجازه:

تناول علماء الإعجاز من أمثال: الإمام الخطّابي (ت388هـ)، والرّمّاني (ت 386هـ)، والباقلّاني (403هـ) وجوه الإعجاز الّتي تفرّد القرآن وتحدّى بها العرب بأن يأتوا بمثله؛ فهذا الإمام الخطّابي يقول في رسالته (بيان إعجاز القرآن): «وذهب قوم إلى أنّ العلّة في إعجازه الصّرفة (...) وزعمت طائفة أنّ إعجازه إنّما هو فيما يتضمّنه من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزّمان (...) وقد جعل سبحانه في صفة كلّ سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها (...) وزعم آخرون أنّ إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من العلماء أهل النّظر»[1]. إذا فوجوه الإعجاز عنده أربعة، هي:

أ- القول بالصّرفة.

ب- القول في أنّ الإعجاز هو فيما تضمّنه من الأخبار المستقبليّة.

ج- القول بالإعجاز كونه تحدّى العرب بأن يأتوا بمثله، فعجزوا.

د- القول بالإعجاز من جهة بلاغته.

وعقد أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني في رسالته (النّكت في إعجاز القرآن) بابا تحت عنوان " باب التّلاؤم "تحدّث فيه عن فائدة التّلاؤم وأثره في النّظم وحسن سبك الكلمات، يقول: «التّلاؤم نقيض التّنافر، والتّلاؤم تعديل الحروف في التّأليف، والتّأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطّبقة الوسطى، ومتلائم في الطّبقة العليا، (...) والفائدة في التّلاؤم حسن الكلام في السّمع، وسهولته في اللّفظ، وتقبّل المعنى له في النّفس لما يرد عليها من حسن الصّورة وطريقة الدّلالة»[2].

وأمّا أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلّاني في كتابه (إعجاز القرآن) فيعقد فصلا تحت عنوان " في جملة وجوه إعجاز القرآن " يقول فيه: «والوجه الثّالث أنّه بديع النّظم، عجيب التّأليف، ومتناه في البلاغة إلى الحدّ الّذي يعلم عجز الخلق عنه»[3]، ثمّ يشرع في شرح قوله هذا من وجوه، منها: ما يرجع إلى الجملة في القرآن الكريم، وأنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتّصرّف البديع، والمعاني اللّطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتّناسب في البلاغة[4].

ويقول في موضع آخر، بعد أن تأمّل نظم القرآن: «وقد تأمّلنا نظم القرآن، فوجدناه جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه الّتي قدّمنا ذكرها، على حدّ واحد، في حسن النّظم، وبديع التّأليف والرّصف، لا تفاوت

[1]-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، (1976)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجانيّ في الدّراسات القرآنيّة والنّقد الأدبيّ، ص: 22-24.

[2]-الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النّكت في إعجاز القرآن، ص: 94-96.

[3]-الباقلّاني، أبو بكر محمّد بن الطّيّب، إعجاز القرآن، ص: 51.

[4]- المصدر نفسه، ص:51 وما بعدها.

فيه، ولا اِنحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرّتبة الدّنيا، وكذلك قد تأمّلنا ما يتصرّف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطّويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف»[1].

والباحث متى صعّد أنظاره في آراء علماء الإعجاز وغيرهم من علماء اللّغة والبلاغة تيقّن أنّ الوجه الّذي عوّل عليه هؤلاء، وبسطوا القول فيه هو الوجه الرّابع؛ أي إعجازه من جهة بلاغته ونظمه؛ لأنّ هذا الوجه يسري في سور القرآن جميعها؛ ولهذا ركّز الشّيخ محمّد الخضر حسين على هذا الجانب، قائلا: «وللبحث في إعجاز القرآن نواحٍ كثيرة، اِتّجه إليها المفسّرون وعلماء البيان بتفصيل، فكشفوا الغطاء عن كثير من أسرارها، ووضعوا أيديهم على جانب عظيم من حقائقها، والنّاحيّة الّتي سنحدّثك عنها في هذا المقال هي: ناحيّة بلاغته، وحسن بيانه»[2].

وتركيز الشّيخ محمّد الخضر حسين على هذه الجهة له ما يبرّره، فالعلماء أطبقوا على أنّ هذه الجهة هي المعوّل عليها في الإعجاز القرآني، فالجاحظ (ت 255هـ) يؤيّد وجه الإعجاز في النّظم، وهذا ما أثبته الباحث محمّد زغلول سلام في كتابه (أثر القرآن في تطوّر النّقد العربيّ إلى آخر القرن الرّابع الهجريّ)، قائلا: «يمكن تصوّر رأي الجاحظ في بيان القرآن وإعجازه بتتبّع آرائه في كتبه الّتي وصلت إلينا، ونأسف لعدم وصول كتابه " نظم القرآن "، وهو عمدة دراساته في هذا الموضوع، ولا نرى بأسا في أن نستخبر كتبه الأخرى عليه لعلّها تلقي الضّوء عليه»[3].

فعلى الرّغم من أنّ كتابه (نظم القرآن) لم يصلنا، فإنّ الباحث محمّد زغلول سلّام تتبّع كتابي الجاحظ (الحيوان) و(البيان والتّبيّين)، وأثبت أنّ الجاحظ يؤيّد وجه الإعجاز في النّظم[4]. والرّأي نفسه ذكره الرّافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة) حينما تحدّث عن سبب تأليف الجاحظ لهذا الكتاب، قائلا: « فلمّا فشت مقالة بعض المعتزلة بأنّ فصاحة القرآن غير معجزة، وخيف أن يلتبس ذلك على العامّة بالتّقليد أو العادة، وعلى الحُشْوَة من أهل الكلام الّذين لا رسوخ لهم في اللّغة ولا سليقة لهم في الفصاحة ولا عرق لهم في البيان، مسّت الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحته ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه، فصنّف أديبنا الجاحظ المتوفّى سنة 255هـ كتاب " نظم القرآن "، وهو فيما اِرتقى إليه بحثنا أوّل كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز أو فيما يهيّئ القول به»[5]. وممّا تقدّم يمكن أن نعدّ الجاحظ واحدا من الّذين أكّدوا إعجاز القرآن الكريم من حيث بلاغته ونظمه.

جاء بعد الجاحظ اِبن قتيبة (ت276هـ) وألّف كتابه: (تأويل مشكل القرآن) ذكر أنّه ألّفه؛ ليردّ على الطّاعنين في النّظم القرآنيّ خاصّة، والنّظم العربيّ عامّة، ويكشف للنّاس ما يلبسون، يقول في حقّ

[1]-المصدر السابق ص: 55، 56.
[2]-محمّد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة: ج: 2، ص: 5.
[3]-محمّد زغلول سلّام، أثر القرآن في تطوّر النّقد العربيّ إلى آخر القرن الرّابع الهجريّ، ص: 75.
[4]-المرجع نفسه: 75 وما بعدها.
[5]-مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص: 123.

هذا النّظم: «... وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبان بعجيب النّظم عن حيل المتكلّفين، وجعله متلوّا لا يملّ على طول التّلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضّا لا يخلق على كثرة الرّدّ، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه»[1].

وذكر الباحث المحمّدي عبد العزيز الحنّاوي في كتابه (دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن) أنّ عناصر الجمال في النّظم القرآنيّ عند اِبن قتيبة تأتي من جهات ثلاث[2]:

أ- من جهة الألفاظ الّتي تتميّز بالإيقاع الرّائع، والنّسق الصّوتي المبدع.

ب- من جهة المعاني الأصليّة الّتي يحوي علوما خارجة عن متناول البشر.

ج- المعاني البلاغيّة الّتي تعتمد على دقّة التّعبير، وإجادة التّصوير، بأسلوب يثير الخيال، ويحفّز على العمل.

ثمّ بدأت البحوث والدّراسات في إعجاز القرآن وبلاغته تترا إلى يومنا هذا، وبحث الباحثون في هذه المباحث، وللشّيخ محمّد الخضر حسين حضور في هذا المجال بمقالاته ومحاضراته، ولمقاربة آرائه في وجوه الإعجاز اِرتأيت أن أتناولها في النّقاط الآتيّة:

أ- أخبار الأمم السّابقة والأخبار الغيبيّة في القرآن الكريم:

ما جاء في القرآن الكريم من أخبار الأمم السّابقة لا يخالفه ما توصّلت إليه أيدي الباحثين، وأخباره الغيبيّة تحقّقت في حياة رسول الله صلّ الله عليه وسلّم وبعده، يقول: «جاءت آيات من القرآن بأنباء عن الأمم السّابقة؛ كقصّة آدم، وقوم نوح، وقمم هود، وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى- عليهم السّلام- وكثير منها لا يعرفه العرب، فحكاها القرآن حكاية من حضرها وشاهدها، ولم تجد في التّاريخ ما يخالفها (...) ومن أنباء القرآن ما يكون مستقبلا، ووقع كما أخبر به؛ كقوله تعالى: ﴿ألم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلَبُونَ فِي بضْعِ سِنِينَ ﴾ (الرّوم: 1-4)؛ فقد غلبت الرّوم في بضع سنين كما أخبر به القرآن. وقد نزل القرآن في آخر غزوة من غزوات رسول الله ﷺ، وقال للمخلّفين: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (الفتح: 16)، ولم يدعهم النّبي ﷺ؛ لأنها نزلت في آخر غزوة من غزواته، ودعاهم أبو بكر الصّديق رضي الله عنه إلى قتال أهل الرّدّة ذوي بأس شديد »[3].

ب- الأخبار الغيبيّة الّتي جاء بها القرآن الكريم لا تؤوّل بما يتوهّمه بعض النّاس:

جاء القرآن الكريم بأخبار غيبيّة لا يمكن أن نحملها على غير حقيقتها، أو تأويلها وفق أهواء تفتح بذلك بابا للنّفوس الضّعيفة بأن تقول على القرآن ما لا تتحمّله العقول السّليمة والنّفوس السّويّة،

[1]-اِبن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن،ص: 11.

[2]-المحمي عبد العزيز الحنّاوي، دراسات حول الإعجاز البيانيّ في القرآن، ص: 101.

[3]-محمّد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة: ج: 2، ص: 506.

يقول: «ولا يدلّ في الإخبار بالمغيبات ما توهّمه بعضهم من أنّ مصر تفتح للعثمانيّين في عهد السّلطان سليم سنة كذا؛ أخذا من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ **(الأنبياء: 105)**؛ إذ أنّ حروف (ولقد) توافق حروف (سليم) في حساب الجمل، والذّكر يوافق حسابها تلك السّنة، فيكون المعنى: سليم، كتبنا في الزّبور من بعد تلك السّنة أنّ الأرض- أي مصر- يرثها عبادي الصّالحون، وهم العثمانيّون. فلا يؤخذ من القرآن إلّا ما نزل للهداية، وما حصل من فتح سليم لمصر في السّنة المذكورة كان مجرّد مصادفة»[1].

ج- في طريقة حكاية القرآن الكريم لأقوال النّاس وعلاقتها بالإعجاز:

ناقش الشّيخ محمّد الخضر حسين ما كان يثار في عصره من أنّ حكاية القرآن الكريم لأقوال النّاس: هل فيها إعجاز؛ أي هل نقل القرآن الكريم ألفاظ العباد كما قالوها بألفاظها أم نقلت بمعناها، وحكاها القرآن بلفظه المعجز؟، يقول: «وحكاية القرآن لأقوال النّاس؛ كما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ من نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّه والمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (الإسراء: 90-92) إنما هي حكاية لمعنى ما قالوه، لا لفظه، فلا يكون منهم معجزا كإعجاز القرآن »[2].

د- في فصاحة مفرداته ومتانة نظمه وإنسجامه وإتّساقه وبلاغة قصصه:

القرآن الكريم يختار الصّيغة الصّرفية المناسبة، ويعدل عن المتوقّعة إلى غير المتوقّعة اِقتضاها المقام، ويعدل من زمن فعل إلى زمن فعل آخر؛ زيادة للمعنى وتوسعة للدّلالة، وينتقل بك من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة فتنشأ دلالات جديدة يحدّدها السّياق، ويصل الكلمة بما يلائمها، وترصف آخذ بعضها برقاب بعض؛ درأً للعارفين بقوانين البيان من يقولوا: لو كانت هذه الكلمة مكان تلك لكان أفضل، ويعطف الجمل على ما يناسبها، وقد يفصل بينها بجملة اِعتراضيّة؛ لتزيد المعنى دلالة أكثر، يقول الشّيخ محمّد الخضر حسين: « يصل الكلمة بما يلائمها، ويعطف الجملة على ما يناسبها، ويضع الجملة المعترضة بين الكلمتين المتلائمتين، أو الجملتين المتناسبتين، فترى الكلمتين أو الجملتين مع الجملة المعترضة بينهما كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، فلا يكاد الفكر يشعر بأنّه اِنقطع بالجملة المعترضة عن الكلمة الأولى، أو الجملة، ثمّ عاد إلى كلمة أو جملة مرتبطة بها اِرتباطا وثيقا »[3].

وترى السّورة القرآنيّة على طولها، وتنوّع مواضيعها من: وعظ، ووصف، ووعد ووعيد، وقصص؛ بنيانا متّسقا ومنسجما، كلاما واحدا «يتعلّق آخره بأوّله، وأوّله بآخره، ويترامى بجملته على غرض واحد، كما تتعلّق الجمل بعضها ببعض في القضيّة الواحدة »[4]؟. هذا لا يستطيعه البشر، «ترى البليغ

[1]- المرجع السابق ، ج: 2، ص: 506
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 506
[3]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 445.
[4]- محمّد عبد الله درّاز، النّبأ العظيم، ص: 195.

من البشر يحسن البيان، ويأخذ لبّك بالمنشآت الرّائقة، حتّى إذا طال به مجال القول، وقطع فيه أشواطا واسعة، رأيت في جمله أو أبياته تفاوتا في البراعة، أمكنك أن تبصر فيها ضعفا، وتستخرج بنقدك الصّحيح من أواخر كلامه مآخذ أكثر ممّا تستخرج من أوائلها. ولكنّ القرآن الكريم على طول أمده، وكثرة سوره، نزل متناسبا في حسن بيانه »[1]

القرآن يورد القصّة في مكان، ويعيدها في مكان آخر اِقتضاه المقام، فلا تشعر، وأنت توازي بينهما إلّا ببلاغة واحدة لا تنزل إحداهما عن الأخرى، يقول الشّيخ: «ومن مظاهر بلاغة القرآن: أنّه يورد القصّة في أوفى درجة من حسن البيان، ثمّ يعيدها في سورة أخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتّى إذا عقدت موازنة بين حكايتها هنا، وحكايتها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة، لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال. أمّا البليغ من البشر، فقد يسوق إليك القصّة في عبارات أنيقة، ثمّ يري أن يعيدها مرّة أخرى، فإذا هي في درجة من البراعة منحطّة عن درجتا الأولى»[2]

2.3 ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبيّة:

ينشر الشّيخ محمّد الخضر حسين مقالين، الأوّل تحت عنوان: " نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة" والثّاني: " ترجمة القرآن "، وينطلق في مقاله الأوّل من هذا السّؤال: هل في المستطاع ترجمة القرآن إلى لغة غير عربيّة؟ وللوقوف على منهجيّته في مقاربة هذا السّؤال، والخلفيّة المعرفيّة الّتي اِنطلق منها، والنّتائج الّتي تصّل إليها، بدا لي أن أتناولها في النّقاط الآتيّة:

أ-المعاني الأصليّة والثّانويّة في القرآن الكريم وعلاقتهما بالتّرجمة:

الكلام العربيّ البليغ يحتوي على معان أصليّة تنشأ من نسبة الفعل للفاعل والمبتدأ للخبر، وهذه المعاني يستوي في فهمها النّاس جميعهم، ومعان ثانويّة سمّاها علماء البلاغة بمستتبعات التّراكيب، وبهذه المعاني الثّانويّة يرتفع الكلام، وتظهر فيها براعة الشّاعر والخطيب والكاتب، ويبذل المتلقّي لهذه المعاني جهدا كبيرا في فهمها وتذوّقها، يقول الشّيخ: «لكلّ كلام عربيّ بليغ معان أصليّة تحصل من مجرّد نسبة الفعل إلى الفاعل، أو الخبر إلى المبتدأ، وهي ما يقع عليه فهم كلّ سامع عرف ما وضعت له ألفاظ الجملة، وكان خبيرا بما تدلّ عليه وجوه الإعراب؛ من فاعليّة، والمفعوليّة، والحاليّة، والإضافة، وللكلام بعد هذه المعاني الأصليّة معان ثانويّة، وهي ما يبحث عنها في علوم البلاغة، ويسمّيها علماء البلاغة: مستتبعات التّراكيب. وبهذه المعاني يرتفع شأن الكلام، وفي مجالها يتسابق فرسان البراعة من الخطباء والكتّاب والشّعراء، فقد يتّفق المتكلّمان بمنظوم أو منثور في إفادة المعنى الأصليّ، ويمتاز أحدهما عن الآخر بما يلابسه من معان زادة على المعنى الّذي اِشتركا في إفادته »[3].

[1]- المرجع السابق، ج: 2، ص: 446.
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 448.
[3]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 511.

والقرآن الكريم نفسه يحتوي على معان أصليّة وأخرى ثانويّة، «للقرآن الكريم –ككلّ كلام عربيّ بليغ- معان أصليّة، وهي ما يستوي في فهمه كلّ من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوه إعرابها؛ من فاعليّة، ومفعوليّة، وحاليّة، وإضافيّة، وما يشاكل ذلك من الأحوال المبحوث عنها في علم النّحو (...) وللقرآن معان ثانويّة، ويسمّيها علماء البلاغة بـ: مستتبعات التّراكيب، وهي خواصّ النّظم الّتي يرتفع بها شأن الكلام»[1]. وإذا أدركنا الفرق بين المعاني الأصليّة والثّانويّة صار أمرا ملحّا البحث في مدى قدرة اللّغات الأجنبيّة في اِستيفاء هذه المعاني حقّها في أثناء ترجمة القرآن الكريم. وإذا علمنا أنّ ترجمة المعاني الأصليّة ميسر للمترجمين، فهل اللّغات الأجنبيّة قادرة على نقل المعاني الثّانويّة المودعة في القرآن الكريم إلى لغاتها، وإذا فرضنا جواز ذلك، فهل يجوز التّعبّد بهذه التّرجمة؛ أي الصّلاة بها؟

لم تغب هذه الأسئلة وغيرها عن العلماء قديما وحديثا، وتناولوها في مباحثهم، وتتبّع الشّيخ محمّد الخضر حسين هذه المسائل؛ منطلقا في مقاربتها من آراء العلماء وأقوالهم، من أمثال: الإمام أبو حنيفة، والقاضي أبو بكر بن العربيّ، والحافظ اِبن حجر، والزّمخشريّ، واِبن تيميّة، واِبن بطّال، والشّاطبي، والإمام الغزالي، وذكر أنّ « للقرآن معان أصليّة، وأخرى تابعة، وهي مظهر بلاغته، وملاك إعجازه، فإنّ ترجمته بالنّظر إلى المعاني الثّانويّة غير ميسور، إلّا أن توجد لغة توافق اللّغة العربيّة في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسمّاة عند علماء البيان: خواصّ التّراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد اِدّعاؤه، وممّن نبّه على هذا في القديم: أبو القاسم الزّمخشريّ في كشّافه إذ قال: " إنّ في كلام العرب-خصوصا القرآن- من لطائف المعاني ما لا يستقلّ بأدائه لسان "»[2]

وهذا الّذي تتميّز به اللّغة العربيّة لم يدفع الشّيخ محمّد الخضر حسين لأن ينكر ما في اللّغات الأجنبيّة من بلاغة خاصّة بها، يقول: « وليس في هذا إنكار أن يكون في اللّغات الأخرى بلاغة، ويكفي في تعذّر ترجمة ما يحمله اللّفظ العربيّ من دقائق المعاني، أنّ هذه المعاني، أو بعضها، ممّا لا يشير إليه اللّفظ المرادف له من اللّغة الأجنبيّة، إلّا أن تصاغ له جملة مستقلّة، وأضرب المثل لهذا بأن تقديم المفعول على الفعل يدلّ في اللّغة العربيّة على الاِهتمام بشأنه، وربّما كانت اللّغة الأخرى لا تدلّ بالتّقديم على هذا المعنى، فيحتاج المترجم في الدّلالة على معنى الاِهتمام الّذي يشير إليه اللّفظ العربيّ بالتّقديم إلى عبارة أخرى بعد العبارة الّتي ينقل بها أصل المعنى، وإذا كان التّنكير يدلّ في اللّغة العربيّة على التّعظيم أو التّحقير، ولم يعتدّ أهل اللغة الأجنبيّة أن يدلّوا به على هذا المعنى، فإنّ المترجم يقتصر في ترجمة الاِسم النّكرة على مدلوله اللّغويّ، ويفوته معنى التّعظيم أو التّحقير الّذي يعدّ من مقاصد المتكلّم العربيّ، ويدل فيما يورث الجملة العربيّة رفعة، وإذا زاد المترجم كلمة ترادف معنى عظيم أو حقير، ذهب رونق البلاغة الّذي هو حلية اللّف العربيّ؛ لأنّ لأخذ هذا المعنى من التّنكير وقعا

[1]- المرجع السابق ، ج: 2، ص: 450.
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 512.

في نفس السّامع غيرَ الوقع الّذي يكون له عندما ينطق المتكلّم بلفظه الصّريح»[1]. إذًا المعاني الثّانويّة أو مستتبعات التّراكيب يصعب ترجمتها إلى اللّغات الأجنبيّة، وأمّا المعاني الأصليّة فنقلها قد يقع صحيحا، « وإذا كان في مستطاع من يجيد لغة أجنبيّة أن ينقل هذه المعاني من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الّتي أجاد معرفتها، لم يبق سوى النّظر في تفصيل حكم هذا النّقل، وبيان حال المنع منه، أو الإذن»[2]. وهذا الطّرح قاد الشّيخ إلى مبحثين رآهما أساسيين:

- قراءة ترجمة القرآن في الصّلاة.

- نقل معاني القرآن؛ ليطّلع عليها أهل ذلك اللّسان لعلّهم يهتدون.

ب– ترجمة القرآن الكريم لا تعني إبدال اللّفظ العربيّ بلفظ أجنبيّ:

يرى الشّيخ أنّ إبدال ألفاظ القرآن الكريم بألفاظ أجنبيّة قد لا يؤدّي في كثير من الأحيان إلى الدّلالات الحقيقيّة المراد تحقيقها من وراء اللّفظ القرآني. فإذا كانت « ترجمة القرآن إبدال اللّفظ العربيّ بلفظ من لغة أجنبيّة يقوم مقامه في الدّلالة على ما يفهم منه عربيّة، فإنّا نرى كثيرا من الآيات لا يمكن ترجمتها على هذا الوجه ترجمة صحيحة، فترجمة القرآن من فاتحته إلى منتهاه غير متيسّرة، ولو بالنّظر إلى المعاني الأصليّة؛ فإنّ الآيات المحتملة لوجوه متعدّدة لا يمكن نقلها إلى لغة أخرى إلّا على وجه واحد، وهذا ليس بترجمة، وإنّما يصحّ أن يسمّى: تفسيرا، إذًا يجوز نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة على أنّها تفسير، لا على أنّها ترجمة مطابقة للأصل. لا بدّ في نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة من إشعار القارئين بأنّ هذا النّقل تفسير لا ترجمة، ومن طرق التّنبيه: جمل تكتب في حواشي الصّحائف يبيّن بها أنّ هذا أحد وجوه، أو أرجح وجوه تحتملها الآية»[3]. ويضرب مثالا لمترجمين اِثنين حول الخلل الّذي تعتريه التّرجمة الحرفيّة «ومن الخلل الّذي يدخل التّرجمة الحرفيّة: أن يستعمل القرآن اللّفظ في معنى مجازيّ، فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللّفظ العربيّة في معناه الحقيقيّ. وهذا ما صنع (مارماديوك بكتهول) مترجم القرآن إلى اللّسان الإنكليزي في كثير من الآيات، وقد وقع من هذه النّاحيّة في أخطا لا تحصى، تجدونه –مثلا- يترجم قوله تعالى: ﴿**فَيَدْمغُهُ**﴾ من آية ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ**﴾ (الأنبياء: 18) بعناها الأصلي، وهو " فيشجّ رأسه "، ويترجم قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ**﴾ (الإسراء: 29) بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق، وإطلاقها، والقار ئ الإنكليزيّ لم يعتدّ من مثل شجّ الرّأس معنى الغلب، ولا من جمع اليد إلى العنق وإطلاقها معنى البخل والإسراف »[4].

[1]- المرجع السابق ، ج: 2، ص: 450، 451.
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 452.
[3]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 460.
[4]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 456.

ج- ترجمة معاني القرآن الكريم يجب أن تتعهّده جمعيّة مختصّة بعد أن تؤلّف تفسيرا يسيرا:

الجهود الفرديّة غير كافيّة في أداء مهمّة ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبيّة؛ ولهذا يدعو الشّيخ محمّد الخضر حسين إلى أن يعهد هذا العمل الضّخم إلى جمعيّات مختصّة، ويرى أنّه من الأفضل أن تقوم لجنة من ذوي الكفاءات والرّسوخ في علم التّفسير والتّرجمة؛ صيانة للقرآن الكريم من التّحريف، وبقاء لرسالته الخالدة، يقول: «العمل الّذي يصان به القرآن الكريم من التّحريف، أو وهمٍ يتسرّب إليه من طريق التّرجمة، ويقضي هو دعوته العامّة الخالدة، ويمكّن من لا يعرف العربيّة من الاِطّلاع على جانب عظيم من المعاني المودعة في ألفاظه المنزّلة من عند الله: أن تتولّى طائفة من الرّاسخين في الإيمان وفهم القرآن تأليف تفسير باللّسان العربيّ، لا يزيدون فيه على ما يفهم على وجه التّحقيق من الآية، مع ملاحظة ما اِقتضى الإيجاز حذفه، ثمّ يتولّى طائفة ترجمة هذا التّفسير بأمانة وبراعة، تظهر هذه التّرجمة بعنان: "ترجمة تفسير القرآن"، وينبّه على أن التّفسير ألّفته لجنة، وترجمته تحت إشراف رئاسة دينيّة حازمة، ومن المعهود أن التّفسير لا يخلو من كلمة تنبئ أنّه تفسير لا ترجمة»[1].

د- من المشكلات الّتي تعترض المترجمين الغربيّين للقرآن الكريم:

ذكر الشّيخ محمّد الضر حسين بعضا منها: « أن يكون اللّفظ ذا معنيين، أو معانيّ تحتملها الآية، فيضطرّ المترجم إلى أن يضع بدله من اللّغة الأجنبيّة اللّفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعاني؛ حيث لا يجد لفظا يشاكل اللّفظ العربيّ في اِحتمال تلك المعاني المتعدّدة. واِشتمال القرآن على آيات كثيرة تحتمل وجوها من التّأويل –ولاسيما الآيات المتشابهة؛ كآيات الصّفات- يجعل من يحاول ترجمته مضطرّا إلى أن يأخذ في التّرجمة بالوجه الّذي يراه راجحا، فتخرج التّراجم –إذا تعدّدت –مختلفة اِختلافا متباعدا، وذلك الاِختلاف يفتح باب لتوهّم المطّلعين عليها- من غير العارفين بالعربيّة- أنّه قد وقع في نسخ القرآن اِختلافا كما وقع في غيره من الكتب السّماويّة »[2]. ويضرب مثالا بين التّرجمة الألمانيّة والإنكليزيّة لكلمة: ﴿**الإِبِلِ**﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ (الغاشيّة: 17)، «فالمترجم الألمانيّ –مثلا- قد ترجم ﴿**الإِبِلِ**﴾ بالسّحاب، والمترجم الإنكليزي ترجمها بمعنى الحيوان المعروف، فالأوروبي الّذي يقرأ التّرجمتين يتوهّم أنّ هذا الاِختلاف في أصل نُسخ القرآن، ولا يخطر له أنّ هذا الاِختلاف نشأ من جهة أنّ كلًّا من المترجمين نقل معنى من معنيين يحتملهما لفظ الآية»[3]

هـ- ما الدّاعي إلى نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة؟

ينطلق من حال اللّغة العربيّة اليوم، وتقاعس أهلها عن نشرها بين الأمم الأخرى، ويرى ضرورة نقل معاني القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة؛ لتصل دعوة الله إلى البشريّة جمعاء، وسدّا، في الوقت نفسه، لأولئك الّذين يحاولون ترجمته –من غير العرب- إلى لغاتهم؛ لما يعتري هذه التّرجمات من خلل بيّن

[1]-المرجع السابق، ج: 2، ص: 515، 516.
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 455.
[3]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 455.

وواضح، يفسد المعنى المراد من هذه الآية أو تلك، يقول: «أصبحنا أمام أمر واقع، هو: عدم إستطاعتنا لنشر اللّغة العربيّة في غير بلاد الإسلام يرأسها مسلم طاهر السّريرة، وإبلاغ دعوة الإسلام إلى الشّعوب غير الإسلاميّة فريضة لا تسقط إلّا حين يسقط غيرها من الفرائض، فلا بدّ لنا من إبتغاء الوسيلة إلى القيام بهذه الفريضة، وليس في يدنا اليوم وسيلة إلّا نقل معاني القرآن إلى ألسنة من نريد دعوتهم إلى شريعته الغرّاء. وممّا يدعو اليوم إلى نقل معانيه إلى بعض اللّغات على وجه التّفسير: أنّ كثيرا من الأوربيّين –ومنهم قسس- قد ترجموا القرآن إلى لغاتهم تراجم مملوءة بالخطأ، وإنّما يُكفى شرّ هذا الفساد بإرادة أصحاب تلك اللّغات معاني القرآن على وجهها الصّحيح »[1]. وهذا الّذي دعا إليه الشّيخ إستند فيه إلى طائفة من أقوال العلماء الّذين جوّزوا ذلك، من أمثال: إبن البطّال، والحاف إبن حجر، وإبن تيميّة، وذكر قول القفّال من كبار علماء الشّافعيّة الّذي منع ترجمة القرآن وأجاز تفسيره بها[2].

4. خاتمة

قارب هذا البحث جهود علم من أعلام العصر الحديث في علوم القرآن الكريم، والنّتائج الّتي توصّل إليها:

1- يمكن أن نعدّ الشّيخ محمّد الخضر حسين واحدا من علماء الجزائر الّذي ولدوا خارج أرضها، ألفّ في العديد من المعارف، كان: مفسّرا، أصوليّا فقيها، محدّثا، صحفيّا، شاعرا أديبا، لغويّا، نشر العديد من المقالات، جمعت هذه الآثار في خمسة عشر مجلدا طبعت عام 2010 صادرة عن دار النّوادر.

2- كتابه (علوم القرآن) ضمّ بين دفتيه مباحث ذات قيمة علميّة، فيها تظهر كفاءة الشّيخ ومنهجيّته في مقاربة هذه المباحث.

3- الشّيخ في مباحثه ينطلق من آراء سابقيه، ومن الأسئلة الّتي يطرحها واقعه الّذي يعيش فيه، ويعرضها على الشّرع والعقل والدّليل، ولم يكن ناقلا فقط لآراء غيره، بل شارحا ومناقشا ومرجّحا، أغنى مباحثه بأسئلة معرفيّة جديدة .

4- الوقوف عند هذا الكتاب، والتّركيز على مبحثين فقط لا يعني أنّنا إستوفينا هذه المباحث حقّها، بل العودة إلى باقي المباحث وإلى آرائه في القراءات القرآنيّة والقياس عليها في باقي آثاره أضحى ضرورة ملحّة؛ لإستكمال جهود الشّيخ في هذا المجال.

5- القول بالإعجاز من جهة بلاغته هو الّذي عوّل عليه العلماء قديما وحديثا؛ لسيرانه في السّور جميعها، وذات الجهة عوّل عليها الشّيخ في تناول مباحثه حول الإعجاز القرآني.

6- ما جاء في القرآن الكريم من أخبار غيبيّة لا تؤوّل بما يتوهّمه بعض النّاس، وما حكاه لأقوال البشر، إنّما نقله بالمعنى وحكاه بلفظه المعجز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

7- في القرآن الكريم، كما في الكلام العربيّ البليغ، معان أصليّة وأخرى ثانويّة، سمّى علماء البلاغة

[1]- المرجع السابق، ج: 2، ص: 458.
[2]- المرجع نفسه، ج: 2، ص: 459.

هذه الأخيرة بمستتبعات التّراكيب، وهي مظهر بلاغته وإعجازه وتفرّده عن باقي كلام البشر، وإحتوائه عليها جعل ترجمته إلى اللّغات الأجنبيّة غير ميسورة.

8- التّرجمة، في رأي الشّيخ، لا تعني إبدال لفظ عربيّ بلفظ أجنبيّ؛ لأنّ اللّفظ الأجنبي قد لا يفي بالمعنى المراد، خاصّة إذا كان اللّفظ القرآني ذا معنى مجازيّ، أو لفظ مشترك يحمل معنيين.

9- نقل معاني القرآن الكريم، اليوم، إلى اللّغات الأجنبيّة أضحى ضرورة ملحّة؛ لأنّ القائمين على شؤون العربيّة ونشرها في ربوع العالم متقاعسون، ولن يتحقّق نقل معاني القرآن، في رأي الشّيخ، إلّا إذا عهدنا العمل إلى لجنة مختصّة ذات كفاءات علميّة عاليّة؛ لتبليغ الشّريعة الإسلاميّة السّمحاء إلى غيرنا.

5- قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- الباقلّاني، أ، م، **إعجاز القرآن**، (د.ت)، القاهرة، دار المعارف.
- حسين، م، خ، **الأعمال الكاملة**، (2010)، بيروت، دار النّوادر.
- الحسيني، ع، ر، (1979)، **زاوية علي بن عمر**، دمشق، المطبعة التّعاونيّة.
- الحنّاوي، م، ع، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن**، (1984)، القاهرة، دار الطّباعة المحمّديّة.
- خدّوسي، ر، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين**، (د.ت)، الجزائر، دار الحضارة.
- الخطّابي، أ، س، **بيان إعجاز القرآن**، (1976)، مصر، دار المعارف.
- درّاز، م، ع، **النّبأ العظيم**، (د.ت)، (د.ط)، الكويت، دار القلم.
- الرّافعي، م، ص، (د.ت)، **إعجاز القرآن**، القاهرة، مطبعة الإستقامة.
- الرّماني، أ، ح، **النّكت في إعجاز القرآن**، (1976)، مصر، دار المعارف.
- الزّركلي، خ، د، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (1999)، بيروت، دار العلم للملايين.
- سركيس، ي، إ، **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة**، (1928)، مصر، مطبعة سركيس.
- سلّام، م، ز، **أثر القرآن في تطوّر النّقد العربيّ إلى آخر القرن الرّابع الهجريّ**، (د.ت)، القاهرة، دار المعارف.
- عبد الرّحمان، ع، (1971)، **الإعجاز البياني للقرآن**، مصر ، دار المعارف.
- إبن قتيبة، د، **تأويل مشكل القرآن**، (2007)، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- كحّالة، ع، ر، **معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة**، (1993)، بيروت، مؤسّسة الرّسالة.
- محمّد شاكر، أ، ف، **مداخل إعجاز القرآن**، (د.ت)، مصر، مطبعة المدني.
- مخلوف، م، **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، (2003)، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- مواعدة، م، **محمّد الخضر حسين حياته وآثاره**، (1992)، دمشق، الدّار الحسينيّة للكتاب.